مفهوم الرجولة ونزعة العنف ضد المرأة في الجزائر

أ. زيان محمد - جامعة الشلف

المقدمة:

استعرضت دراسات كثيرة علاقة الرجل والمرأة، حيث تناولت ظروف، وسُبل العيش والتعاون والتكافل بينهما، كما تطرقت لمظاهر عدم توافقهما واختلافهما وصراعهما، وفي خضم هذا النزاع، الذي ينتصر فيه الرجل غالباً، باعتباره السيد والقوي وصاحب السلطة، حسب ثقافة أغلب المجتمعات العربية والغربية، إنه انتصار يتجلى في مختلف الميادين الاجتماعية والثقافية والسياسية، لكن قد يعتبره البعض مؤشراً واضحاً، لتهميش حق المرأة في الظهور وتقزيم دورها في المجتمع، بغض النظر عن المُعتقد أو الجنس أو الطبيعة، فيُفردون لهذا السلوك عبارة شاملة تُوحي لأشكال الحرمان والتسلُّط ضدها هي"العنف ضد المرأة" أياً كانت زوجة، أو أماً، أختاً، أو بنت وغيرها، ويبدأ حسب بعض المختصين داخل الأسرة.

يبدو أن هذه الذهنية الجماعية راسخة في مجتمعنا الجزائري حيث تُقلل من حجم نوع هذا العنف وبؤره، وتُبالغ أحياناً أخرى في تبيان مظاهره وتجلياته في مختلف مجالات الحياة، كما أن النتائج المُحصل عليها أثناء دراسته، مختلفة باختلاف الرؤى والتصورات والتخصصات. فقد ألهم"العلماء والباحثين والدارسين وحتى الإعلاميين"[1]، ورافق محاولتهم إعطاء تفسيرات، لكنها تتسم غالباً بالانطباعية، وتنم عن رّدات فعل متسرعة محملَّة بالنوايا المبيَّتة والأحكام المسبَّقة، ومن ثمة حادت عن التفسيرات العلمية، فحدث الكثير من اللُّبس في خصوصها، بما أنها لم تأخذ بعين الاعتبار-في نظرنا-، علاقة فعل العنف المُطبق على المرأة والكيفية التي تتشكل من خلالها هوّية الرجل في المجتمع الذي استطاع فيه الرجال تشييد نظامهم الذكوري، الذي يمزج مختلف المعتقدات والقيّم الدينية والخُرافات، وحتى النظم السياسية لتبرير التفوق، وهو مثَّبت بشتى الطرق، رغم تناقضه مع بعض القيم والتعاليم الإسلامية الأصيلة مثل حرمان المرأة من حق الميراث في بعض المناطق من الوطن أو الحقوق القانونية (الحق في الانتخاب والتمدرس..)، وتبرير ممارسة الطقوس العُنفية في استعلاء مركزي، بصورة اعتيادية تخلو من النقد، مما جعل هذا النوع من العنف ضد النساء، ظاهرة مؤبدّة، وتُعالج كـ: مسألة جانبية وطارئة في كل زمان ومكان، وبالتالي فإن مسألة معالجتها يسبقها الفشل.

إن الواقع الاجتماعي لأفراد المجتمع الجزائري، يجبرهم على الربط -حسب تصورنا- بين تشكُّل مفهوم الرجولة لديهم وعلاقتهم بالنساء وممارسة العنف ضدهن، الأمر جعلنا نلّح في هذا البحث على ضرورة التساؤل: حول العلاقة التي تجمع بين هذا العنف المُمارس على المرأة وبلوّرة مفهوم الرجولة(الرُّجلة)؟، حيث تتشكل الهيمنة

الرجولية بناء على التصورات المادية كما يعبر عنه الباحث -محمد عبد ربي-بأنها ممثلة في"تحكم الرجال في وسائل الإنتاج المادية والفكرية، واحتكارهم لوسائل العنف المادية ثم الرمزية وتمثلهم للمركزية القضيبية".

فهل يعتبر العنف ضد المرأة أحد المتغيرات الأساسية التي يعتقد فيها الرجل أن لها علاقة بتكوين هويته الرجولية؟ وما هو مفهوم الرجولة والذكورة في الموروث الثقافي والشعبي الجزائري؟ وما الفرق بينهما؟ لماذا تبقى الرجولة وسماتها موضوعاً للتماهي لدى فئة الرجال؟ وما هي الأسباب التي تجعل الرجال يستبعدون الأنوثة عن ذواتهم؟ويمارسون العنف ضدهن؟

1. مفهوم الرجولة:

نقول أن الرجل قد اكتملت رجولته واشتدت، أي اكتملت صفاته الجسدية بصفته رجلاً، فالرجولة كقيمة، تعني كل معاني القوة والسيادة والشهامة والمسؤولية والرعاية، وهذه في عمومها تخص وتميّز الرجل الذّكر، وهي رجولة وفحولة، فهي حسب -بسكال مولنييه-، ذات معنيين كما يلي:أولاً"الخصائص الاجتماعية التي يشترك فيها الرجال، وإلى المذّكر مثل: القوّة، الشجاعة، القدرة على الِعراك، والحق في العنف، وبعض الامتيازات المشتركة مع أولئك الذين ليسوا رجالاً ولا يمكنهم أن يكونوا كذلك، أي تميزهم عن من ليسوا رجالاً(ذكوراً) مثل: النساء والأطفال. وثانياً الشكل المنتصب والوالج لجنس الذكورة(الفحولة). وهي في كلا المعنيين تنتقل للأولاد(الفتيان) عن طريق جماعة من الرجال في اجتماعهم من أجل تمييزهم تراتبياً عن النساء سواء كان ذلك فردياً أو جماعياً. لتصبح بذلك "المصطلح الجماعي والفردي للهيمنة الذكورية"[2]، ويحيل المفهوم المتعدد المعاني للرجولة أو الفحولة في المخيال العربي والبربري حسب الباحثة-فاطمة الزهراء ناجي-إلى:

- "الفوقية الذكورية الملازمة.
- شيفرة تدل على الشرف.
- تدل على النقاء الأخلاقي والدموي.
- وعلى القوة والقدرة الجنسية"[3]، أمّا وفقاً لقاموس أكسفورد للغة الفرنسية 2007، فتعني"مجموع الخصائص الجسدية والجنسية التي تشكل خصائص الرجل" وتشمل على:
- الخصائص الفيزيائية التي يمتاز بها الرجل البالغ، بالمعنى البيولوجي.
- السلوك الجنسي للرجل، وخاصية القوة والقدرة على الإنجاب (فعالية القضيب).
- خصائص أخلاقية للرجل، أي نوع الجنس، والمقبول ثقافياً.

إن مفهوم الرجولة إذن، كـ: فضيلة ونبالة، هو في حد ذاته قيمة لإصدار حكم ما، الذي هو من الصفات الذكورية حول المنتسبين لذوي القوة أو الشجاعة. في مجتمعات

تلك القيمة على أنها المجتمعات الأبوية، وهذا الارتباط هو مبدأ التنمية لشخصية الذكور، والمقبولة اجتماعياً"[4].

على هذا الأساس نجد عبارة بيار بورديو ذات أهمية كبيرة، وإثارة لبلوغ المعنى المطلوب لكيفية تشكيل الرجل، في قوله:"*الرجولة، بمظهرها الإتيقي (Ethique) نفسه، باعتبارها ماهية القوة (vir)، والفضيلة(virtus) ومناط الشرف(nif) ومبدأ حفظ الشرف والرفع فيه، تبقى على الأقل ضمنياً، غير منفصلة عن الرجولة الجسدية، لاسيما عبر دلائل الجسدية، لاسيما عبر دلائل القوة، فض بكارة الخطيبة، ذرية ذكور وفيرة...الخ، المنتظرة من الرجل هو حقيقة رجل*"[5]، غير أن الظاهر من استعماله لمفهوم الهيمنة الذكورية مرتبط بالجسد وما يفوح به من رجولة (قوة، بأس، شدة، غلظة)، حيث أن من خلاله تستطيع النساء الاستناد إلى ترسيمات الإدراك المهيمنة(فوق / تحت، جامد / رخو، مستقيم / منحني، جاف/ رطب...)، التي تقودهن إلى تصور سلبي عن جنسهن الخاص بهن"[6].

وبناء -لما سبق-نستنتج أن الرجولة، مزيج من هذه المقومات الجسدية والجنسية والأخلاقية، التي تمكن الرجل من التحكم في نسائه بناء على ظروفه وطبيعة حياته وعاداته وقيّمه، وهو ذاته المفهوم الذي نحن بصدد دراسته في مجتمعنا الجزائري، ويتوضح أكثر لدى الباحثة نادية تازي، في كتابها ***الرجولة في الإسلام*** *مع فتحي بن سلامة*، إذ تقول أن: "ثمة مفهومان للرجولة عبر التاريخ الإسلامي.

- أولا "***المفهوم الارستقراطي(البورجوازي)***: حيث يثبت الرجل قوته عبر امتحان تلك القوة، ليظهر تلك القوة، ويحقق صورة معينة له: محارب، شاعر، مضيف، حامي الضعفاء"[7]، وهذا يتطلب -في نظرنا- تطبيقاً لتلك القيم الموجودة في المجتمع، حيث يقوم بتمثلها في ذاته، ومن خلالها يقارنها مع الذكور الآخرين في امتحان فحولته، وكل هذا باسم"سمعة الرجل وشرفه". باعتباره حامل هذا الاسم، شرف العائلة، شرف البلد، شرف القبيلة...الرجل هنا، يحاول أن يكون على أهمية هذا الاسم، ليستحق شرف حمله.(...) ثانـياً: **المفهوم الشعبي** أو الهمجي للكلمة، والذي يركز على الاستحقاقات دون الحقوق"[8]، هي عقلية نافذة في مجتمعنا الجزائري في مجموعة"من السلوكيات والتصرفات المفروضة (بحكم التربية والتكيّف) على الذكور وتقودهم إلى التصرف بطرق معينة محددة اجتماعياً مع الإناث وتندرج تلك السلوكيات والتصرفات تحت عنواني السيطرة والإكراه"[9].

إن النوع الأول من الرجال حسب-نادية تازي-، يخضع لامتحانات من أجل نيل لقب الرجولة، عن طريق الغزو، والمشاركة في الصيّد والفروسية وكل الأعمال التي تجعل منه في صراع مع الطبيعة والأشياء، أما الآن، فكل شيء معطى وممنوح له، دون أن يقدم أي التزامات من طرفه. هنا يحصل الرجل على كافة امتيازات"الرجولة، دون أن يلتزم بتقديم أي واجبات فأن يرث الرجل أكثر من المرأة، وأن يتزوج أكثر من امرأة ويجمع بينهن، وغيرها، كل هذه امتيازات ممنوحة له، ولا يعمل أي شيء،

ليحصل عليها، وليس مطلوباً منه أي شيء مقابل تلك الامتيازات الموضوعة في خدمته، وهذا النوع من الرجولة هي محل انتقاد شديد من طرف النساء، وبالأخص من النسويات.

1-1.تمثلات مفهوم الرجولة:

1-1-1.التمثلات المتعلقة بالجنس:

عُرفت غريزة الجنس في القصص التاريخي والديني والميثّولوجي، في الحضارات القديمة مثل حضارات الشرق الأدنى(حيث عرفت العبادات المرتكزة على العضو المذّكر ورموزه وتماثيله) ، وعند المصريين واليونانيين والرومان وعند العرب في الجاهلية وحتى في صدر الإسلام، حيث بقي من بين المواضيع التي أوليت لها أهمية بالغة، ويكفي فقط الإطلاع على العديد من الكتب التي تطرقت للفحولة في ممارسة شعائر الجنس، الخصوبة والإنجاب والزرع والحصاد، وأنواع الأنكحة المعروفة وكذا تقديس القضيب*(فالوس)* ، حيث يبدو حسب-علي زيعور-أن هناك تشارك"بين الفحولة الجنسية والخصوبة والعاهلية (الملكية الرئاسة)، قد يفسر تعدد الزوجات عند البطل قديماً يعتبر الملك، أو البطل، أو النبيّ، صورة عن المؤلَّه، ومن ثمت تكون وظيفة المؤلَّه التي تلقي عليه في تصور الإنسان الزارع خاصة، أن يكون مانحاً، واهباً، محدثاً الخصوبة والنماء والتجدد والوفرة في الزرع والحيوان والحياة والمجتمع"[10]، فإن كان الرجل عاجزاً جنسيا أو خصياً، فذلك يعني عدم تمكنه من قيادة شعبه، ويختفي نسله وذلك يعني الزوال والضعف والموت.

كما يستعمل بعض العلماء مصطلح الجنس للدلالة على الفروق التشريحية والفيزيولوجية والاجتماعية، والثقافية بين الذكور والإناث، لذا ليس من المعقول نفي ما تحيل له القدرة الجنسية على الرجل من امتيازات تجعل منه، صاحب السيادة أو الطاغية والمستبد في الوقت ذاته أمام النساء، لأنه يمارس شرعية سلطته على الإناث من خلال الجسد، ويرجع بعض العلماء أن الجنس أساس الخصائص البيولوجية لاختلاف السلوك بين الرجال والنساء، بل إنه ينتج من خلال تصورات الاجتماعية للجسد/الجنس.

1-1-2.تمثلات متعلقة بالقيم المثالية:

أ/الشجاعة:

تمثل الشجاعة القدرة على تحمل الألم والمعاناة الجسدية أو النفسية(عاطفية)، وتحدي عظائم الأمور من خلال التحكم في الذات وضبطها، بقوة الجسد وكل ما يرتبط بالبطولة، وهي تتولد مع شظف العيش وخشونة الطباع، فالبدو حسب-بن خلدون- "أقرب إلى الخير والشجاعة من الحضر"، والبطل والمحارب والشجاع مطلوب في طقوس الاحتفالات لدى القبائل البدائية(إفريقيا، أمريكا، أستراليا) وحتى البلاد العربية، مثل طقوس إحدى قبائل بلاد السودان، التي ينخرط فيها الأفراد طواعية"في أداء ألعاب عديدة تمتاز بالخطورة والقسوة، لاختبار شجاعة الأولاد البالغين، حيث يتعرض هؤلاء

للضرب بالسياط، أو أن تُكوى أيديهم بعيدان الذرة المشتعلة والسجائر أو تُجرح بالسكاكين، ومن أجل الهدف ذاته المتمثل في تعويد الأولاد البالغين على الألم الجسدي، يفضل أفراد قبيلة الرولة البدوية تطبيق نوع آخر من العقاب على من يبلغون الرابعة عشرة أو السادسة عشرة من العمر ويتمثل ذلك في قيام الأب بجرح ابنه بالسيف او طعنه بالخنجر"[11]، وهذا الجرح أو الطعنة ليس عقاباً له عن ذنب اقترفه، وإنما يعد بمثابة تهيئة الفتى لحياة مستقبلية.

ب/الشرف:

إن الشرف في المجتمع الجزائري والعربي مفهوم عام، لكنه بأشكال متعددة، فهو ينتج أحياناً من كثرة الأبناء الذكور، كدليل مادي على الرجولية والرُجْلِيه، وينتج جراء القيام بأعمال معينة كاحترام الآخرين وحماية الضعفاء، والقدرة على المدافعة والغزو، فمن الشرف إكرام الضيف بإطعامه وحسن ضيافته، وهو ما تعرفه لحد الآن بعض الأرياف والمناطق الصحراوية الجزائرية، حيث يكرم الضيف بذبيحة من الشاه(غنم). من الشرف كذلك أن يكون الشخص نقي الدم أي سليل روابط دموية وقرابية طاهرة، والتصرف باحترام، فيقال للشخص الذي ينال التقدير(أنه يحمر وجه القبيلة)، والعكس ينتج عن تلطيخ سمعة القبيلة والحي والمدينة، لذا يجب أن يحافظ على نقاء صورته ضد أي سوء، فشرفه حسب -الهواري عدي-***"ليس ملكاً له لوحده وإنما هو ملك لأجداده"*** [12].

كما يربط المجتمع الجزائري الشرف بالمرأة، إنه شرف جنسي، وهو ما نحن بصدد دراسته في الرمزيات الجنسية، خاصة أنه من بين الأسباب التي تجعل الرجل يمارس العنف ضد المرأة، لأنهن يشكلن خطراً يَوصِم رجولته بالعار والمهانة. وشرف الوطء دليل على الرجولة والهيمنة، التي تميز الفرد على حساب قيم أخرى. وتطلق أحياناً كلمة النيف(*Nif*) الذي يمكن استعماله اعتيادياً، وله جانب متطرف ومغالٍ فيه في نظام القيم، وهو"مصطلح يستعمل في المشاكل الصغيرة بين الأشخاص حيث يتعلق الأمر برد التحدي، بالإجابة المنطقية على احتقار شخص معين، إن النيف ليس الإحساسية الشخصية لعضو في الجماعة، إن هذا المفهوم هو جزء من الشرف، شرف الجماعة، شرف تم اكتسابه، ويتعاظم مع الزمن عن طريق الانضمام الكامل إلى نظام القيم، إن النيف يعني أن لا يكون الشخص موضوع سخرية أو سبب سخرية"[13]، وحسب-علي زيعور-"هناك رباط بين الأَنُوفْ والشخصية الشامخة، بين الأنف الشموخ في الأنف وفي الرئاسة أو البطولة والترفع، وصاحب الأنف الشامخ أو شموخ الأنف دلالة على الأكبرية وهي دلالة مستقاة من البدن على ما هو رفيع في المجتمع"[14].

1-1-3.تمثلات متعلقة بالجسد الفيزيقي:

ارتبطت صفات الرجل بجسده"الصلب في الجسم والرجل الصلب، القدم والمقدام، البارز في الجسم والبارز في الجماعة، الشعر في الجسم والشاعر في الجماعة، اللحية البارزة الرجل البارز، الشوراب الكبيرة والرجل الكبير، الظهر والظهير، الباهي وذي

البهو(منطقة في الجسم) الكبير"[15]، الجسد الطويل، الفارع والمنكبين العريضين وبالقوة وبالسيادة"هذه الكلمة التي نستخدمها في الاستعمال اليومي كرديف للعنف، خاصة إذا استخدم العنف كوسيلة للإكراه، هذه الكلمة، يتعين حفظها في اللغة الاصطلاحية لقوى الطبيعة أو قوى الظروف (قوة الأشياء)، أي لتعريف الطاقة الناتجة عن الحركات الطبيعية أو الاجتماعية"[16]، فكان الإنسان في صراعه مع الطبيعة ومازال في سعي دائم ومستمر"إلى تغيير صورته عن جسده، بصفة غير واعية وذلك بتوظيف أفضل الوسائل كالعلاجات التجميلية والدهون والعطورات والحلي والملابس وذلك لإعادة صياغة مظهره وشكله. كما ابتدع الإنسان مفاهيم تعويضية للرفع نسبياً من شأنه مثل الرجولة والقوة والبأس والأنوثة والجمال والرشاقة، وهذا السعي الدائم وراء تغيير المظهر الخارجي للجسد والنابع عن رغبة عميقة لدى الإنسان في تغيير صورته عن جسده. ليصبح أنا آخر، سمي الهوس بالشكل أو الجسد"[17].

2-1.الرجولة قيّم مكتسبة اجتماعياً وثقافياً:

تنتقل رموز الرجولة إلى أفراد المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية،"أن تلقينها قد كان منذ زمن بعيد، ناتج عن تنشئة اجتماعية خصوصية للفتيان"[18]، وقد وضعت بعض الأبحاث النسوية مسألة تحديد الأنوثة أولى اهتماماتها وطرحت سؤال التالي: **هل تولد المرأة امرأة؟**، وتجيب سيمون دو بوفوار عام1949 في كتابها الجنس الثاني بمقولتها الشهيرة"*لا تولد المرأة امرأة بل تصبح كذلك، حيث ليس هناك قدر بيولوجي، فيزيائي، اقتصادي يحدد صورتها التي تكون عليها في مجتمع الأسرة الإنسانية، إنه مجموع المجتمع الذي يعمل على إنتاج وسيط بين الرجل واخصائه بحيث يأهل ما هو مؤنث*"[19]، لكن يبدو -في نظرنا- أنها استخلصت كذلك من هذه الدراسات، كون الرجولة أضحت مشكلة في حد ذاتها، وأنها تمر بأزمة، وهو ما يؤكده الطرح العربي والأبوي في دراستنا"أن بناء الرجولة أصعب من بناء الأنوثة، بل أكثر تعقيداً ويلائم بين ما هو بيولوجي وما هو مكتسب من البيئة، ففي الجانب البيولوجي، تشير جوست أن"الخصية الجنينية عند الذكر عليها أن تقاوم تحقق البنيات الأنثوية، إن الذكر يبني نفسه ضد الأنثوية الأصلية للمضغة أثناء التطور، يشكل التحول إلى ذكر صراعا في كل لحظة"[20].

يؤكد أيضا، ج. موني(*J.Money*) بقوله"إن تشكيل الرجل أصعب من تشكيل المرأة فالطفل الذكر، على عكس الفتاة، يجب عليه أن يختلف عن أمه، وأن ينفصل عنها، وهذا الأمر يستمر لعدة سنوات، فهو مجبر على فعل كل ما في وسعه لإخفاء ودفع ميولاته الأنثوية الأصلية، عليه أن يتميز عن الأم أو أن لا يتشبه بها، لذا يميل أدلير(*Adler*) إلى اعتبار الرجولة ردة فعل ضد الأنوثة، وتنديداً بها، وأول عمل رجولي هو قتل الأم، أول واجب لدى هذا الرجل أن لا يكون امرأة" [21].

نجد أن بعض الدراسات الحديثة، تظهر الكيفية التي ترتكز عليها الرجولة من خلال التربية الذكورية، فما يسميه دانيال لينج(1994)، "***بيت الرجال***" المقتبس من أعمال

موريس كوديلييه(1982)، وسنتطرق له فيما بعد، هي الأماكن والمجالات التي يتربى فيها الفتيان مع أندادهم وأقرانهم، على العنف في ساحة المدرسة، نادي الرياضة والملاعب، الجيش، المقاهي، الحانات والسجون وغيرها، إنها تؤسس للعلاقات بين الرجال، مطابقة للصورة التراتبية للعلاقات بين الرجال/النساء، إلى الرجال الحقيقيين ما يظهر وبالخصوص، صورة سلوكات وتعابير رجولية مثل الامتيازات حول المكانة، الشرف، السلطة، وضعيات في العمل، والبيت والعلاقات الجنسية المتعلقة بالنساء، أما ما لم يستطع التكيف مع الطبائع الرجولية من بقية الرجال أي أنهم لا يتمتعون بالرجولة مثل الضعفاء والشواذ، أو القاصرين، فالكل من يبقى مهيمن عليه إلى جانب النساء، يتحمل كل أنواع التحرش والعنف من بقية الرجال وأيضا يتعرض للعنف الجنسي"[22].

يتحدد في هذا الجانب مفهوم للرجولة، الذي يساهم فيه" البُعد الاجتماعي والثقافي بتكوينه داخل البلدان العربية، بمعنى إن هم أعطوا له مجموعة من المُثل والقيم والصفات التي هي في الأصل يجب أن تكون موجودة في الرجال، وتأخذها الإناث بشكل استثنائي"[23]، فهي حسب-مي غصوب-"ليست طبيعية أو معطاة، بل هي بناء اجتماعي مثل الأنوثة"[24]. كما يتقارب هذا الطرح -مع رأي- الباحثة جولي بيتيت، في مقالها المعنون بـ"الجندر الذكري وطقوس المقاومة"، كونها قيم مكتسبة"ويجري التحقق منها وتمارس في الفعل الشجاع، وفي المجازفة، كما في تعبيرات من الجسارة والإيباء، وهي تتحقق بيقظة واستعداد دائمين للدفاع عن الشرف، وعن ذوي القُربى والأهل ضد العدوان الخارجي وصون الموضعات الثقافية للثقافة المحددة جنسياً وحمايتها، ونظراً إلى صعوبة تمييز طقوس عبور متمفصلة، ومحددة المعالم تؤشر إلى مراحل الانتقال من الطفولة إلى المراهقة، ثم إلى الرجولة، فإن مجموعة فضفاضة من الطقوس التي تؤشر إلى معالم الطريق إلى الرجولة يجب أن تقترن بأفعال أدائية لإقناع المجتمع، ونيل استحسانه"[25]، وهي-في نظرنا- تحديدات للرجولة الناتجة عن تمثّلات بدأت تتبلور منذ السبعينات، مع بداية ظهور الحركات النسوّية، والتساؤل في شأن الهيمنة الأبوية، إذ أن الرجولة هي من صُنع المجتمع، وهي متغيرة حسب المجتمعات والتاريخ، على غرار الخصائص الجنسية، المرفولوجية والفيزيولوجية فهي ثابتة من مجتمع لآخر ومن فترة لأخرى.

1-3.مقياس الرجولة:

هل يوجد مقياس للرجولة في المجتمع؟، لا يوجد دراسة سوسيولوجية أو أنثروبولوجية -حسب علمنا- تطرقت لهذا السؤال، سوى بعض الدراسات النفسية منطلقة من أعمال فرويد، وعلى هذا لم نجد بُداً من التعليق على كون دراسة مفهوم عام في مجتمع متجانس ومتكامل، يمكن أن يحدد مدى وجود "أنموذج موَّحد للرجولة"، يظهر بمثابة فكرة مهيكلة لبنياته، تؤكد على ضميره الجمعي من قيم ومعايير ومُثل وحس مشترك حسب المنظور الدوركايمي، ونقصد به سلم تراتب

اجتماعي. وبالتالي تتشكل وتُقبل، وأما غيرها فيستهجن ويتم رفضه. وكلما كان هذا المجتمع أكثر تحرراً وتفتحاً صارت فكرة الاختلاف فيه مطروحة في شكل صراع أفكار مثل ثنائية ذكورة/أنوثة، فقط يمكن الإشارة إلى اعتقاد كونل(*M, connell*) الذي لا يفصل بين الذكورة والأنوثة، فهما في نظره متقابلان و"تتجليان في أشكال متنوعة في مختلف المجتمعات والثقافات، وأحياناً داخل المجتمع الواحد، وعلى المستوى المجتمعي، تتدرج هذه الأشكال المتباينة في نظام تراتبي تدور كل المستويات فيه حول محور واحد وحيد هو هيمنة الرجال على النساء. ويستخدم كونل نموذجاً مثالياً للذكورة والأنوثة في الهيّكل التراتبي الذي وضعه. وعلى قمة هذا الهرم تتربع الذكورة المهيمنة التي تخضع لها جميع الذكورات والأنوثات الأخرى في المجتمع"[26].

كما حاول عالم نفساني أمريكي وضع سلم للرجولة يشبه نوعاً ما قوانين على الرجل اتبعاها، في حوالي سنة 1970 وأطلق عليه، القوانين الأربع(04)، الأساسية للرجولة، ولخصها في النقاط التالية:

1- ***لا للأشياء الخاصة بالفتيات***، فالرجولة ترتكز على طرح طبقي لكل ما هو مؤنث، فلكي تكون رجلا، يعني أن لا تكون أبداً لطيفاً كالأثير.

2- ***كُن رجلاً ذا شأن***، إذ تقاس الرجولة بحجم الدخل، الغنى، القوة، المكانة، إنها رموز للرجولة، مثلما يقول الملصق الذاتي عن السيارات الأمريكية" أن من يملك الكثير من الألعاب لموته هو الرابح"

3- ***كُن كالسنديان أثناء العاصفة***، ما يعني أن الرجل رجل، ويمكن الاعتماد عليه في فترة الأزمات، فهو يشبه الصخرة الصلبة، أو العمود أو الشجرة الراسخة في الأرض.

4- **بُعْد النظر**، من خلال استنشاق عطر الخشونة والإقدام، لتحمل الصعوبات، ولو بالمشي على حافة السكين"[27]، هي رؤية واضحة كون الرجولة يختص بها الرجال بحيث يتم طرد كل ما يحيل للأنثى.

نعتقد أن هذه المحاولة تتوافق ومقولة الباحثة عزة شرارة بيضون حيث ميزان الرجولة والذكورة يتشكل"من **سمات ذهنية** *(قدرة على تحليل الأمور، تنظيم التفكير، ذكاء، إبداع، فصاحة)* و**أخرى ناشطة** *(شجاعة، طموح، قوة، قدرة على المواجهة، استعداد للنجدة، تحدي المشقات)*، و**ثالثة تنم عن موقع الشخص المسؤول***(إنتاجه، تحمل المسؤولية)*، هنا، أيضاً، اختيرت السمات لأنها مرغوبة للاثنين معاً، لكنها مرغوبة للرجل أكثر مما هي مرغوبة للمرأة"[28].

إن الرجال مختلفون اجتماعياً وثقافياً، ويتأكد اختلافهم في التعامل مع النساء، والرجال في ذات الوقت، حيث يسري في المجتمع الجزائري كوّن كل الرجال ذكورٌ، وليكونوا كذلك يجب أن يهيمنوا في العلاقات الفردية أو الجماعية على النساء. ويكفي لتكون امرأة ما مفهرسة، ونقصد بذلك انتمائها لجماعة الرجال(أب، إخوة ذكور،

أخوال)، لتتمكن من الحصول على وضعية اجتماعية هامة(أجر، أمن، استقلالية فردية، زوج...وغيرها) أو العكس يتم استبعادها"، خاصة إذا تصرفت بحرية خارج نطاق هذه الإيديولوجية، فهي تتعرض للمضايقة والتحرّش كأقل شيء، وهذا ما لمسناه من مساءلة العديد من الشباب حول أهم عنصر في اختيار شريكة الحياة ويربطونه بخصال الرجولة لأحد أفراد أسرتها الذكور.

2-العنف ضد المرأة:

تعرفه رجاء بن سلامة بقولها"هو فعل عنيف قائم على أساس الجنس ينجم عنه أو يحتمل أن ينجم عنه أذى أو معاناة بدنية أو جنسية أو نفسية للمرأة بما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء أوقع ذلك في الحياة العامة أو الخاصة"[29]. وهو ذاته، حسب تعريف الأمم المتحدة 1993 كونه "فعل يتسم بالعنف *Violence* يقوم على أساس النوع *Gender*، يؤدى إلى أذى بدني أو جنسي أو نفسي، أو إلى معاناة النساء، بما في ذلك التهديد بمثل هذه الأفعال، والإجبار، أو الحرمان القسرّي من الحرية، سواء حدث على المستوى الاجتماعي أو في الحياة الخاصة وهو يشمل الضرب وسوء المعاملة الجنسية للطفلة الأنثى، أو العنف المتعلق بالمهور، والاغتصاب الزوجي، وختان الإناث وسائر الممارسات التقليدية الأخرى المسببة لأذى النساء".

نصَّ إعلان الأمم المتحدة على "وجوب أن يشمل مفهوم العنف ضد المرأة ودون أن يقتصر على الآتي: العنف الجسدي والجنسي والنفسي الذي يقع في أطار الأسرة بما في ذلك الضرب المبرح والإساءة الجنسية للأطفال الإناث في الأسرة، والعنف الجسدي والجنسي والنفسي الذي يقع في الإطار العام للمجتمع بما في ذلك الاغتصاب والإساءة الجنسية والتحرش والترهيب الجنسيين في العمل، الاتجار بالمرأة والبغاء القسّري"[30].

المفهوم الإجرائي: هو كل ضربٍ من السلوك الموجه للمرأة يقوم على القوة والإكراه والشدة، ويتسم بدرجات متفاوتة من التمييز والاضطهاد والقهر والعدوانية، ناجم عن علاقات القوة غير المتكافئة بين الرجل والمرأة في المجتمع والأسرة على السواء، والذي يتخذ أشكالا نفسية وجسدية متنوعة في الضرر. نستخلص أن العنف ضد المرأة ظاهرة اجتماعية فهي تعني ممارسة كل أشكال القهر والتعذيب والاضطهاد حسب درجات مختلفة، وهو ناجم عن اختلافات ثقافية واجتماعية بين الرجل والمرأة ومبنية في الغالب على أساس الجنس.

وقصد ربط مفهوم الرجولة الآنف الذكر بالعنف ضد النساء لأنهن بالفعل يتعرضن لكل أشكال العنف من خلال الإقرار الرمزي بهذه السيرورات الموضوعية، والتي تدور عادة حول الفعل الجنسي فيهن حيثبل "إن الفعل الجنسي نفسه ينظر إليه الرجال على أنه شكل من الهيمنة والاستلاء والتملك. ومن هنا ينبع الفارق بين الانتظارات المحتملة للرجال والنساء بخصوص الجنسيانية وسوء الفهم المرتبط بالتأويلات السيئة

للإشارات المبهمة عمداً أحياناً، أو الخادعة التي ينتج عنها، وعلى خلاف النساء المهيئات اجتماعياً لعيش الجنسيانية كونها تجربة حميمية، ومحمّلة بشدة العاطفة والتي لا تتضمن بالضرورة الايلاج والمداعبة والعناق إلخ، فإن الفتية ميّالون إلى تقسيم الجنسيانية التي يتصورونها فعلاً عدوانياً وجسدياً بشكل خاص للفتح الموجه نحو الإيلاج ورعشة الجماع"[31]. أما–دانيال ولزر لنج- فيجعل من الرجولة كخاصية للرجال، من"حيث هي تمثلات فردية وجماعية للجماعة المهيمنة، ويمكن أن تقود إلى هذا الحين للتشكك في الرجولة، عندما يكون الرجال مهددين في رجولتهم"[32]، أو بتعبير فرنسوا دو سانكلي"أن الرجال يتصرفون عادةً كمستعمرين"[33]، ما يؤدي بهم إلى ممارسة أشكال من التشنجات الرجولية، أو الاستعدادات العنفية حسب بورديو ومن مؤشراتها العنف الجسدي والجنسي الممارس ضد النساء، وضد كل ما يخدش هذا التركيب.

2-1.أنواع العنف تجاه المرأة:

تقوم الجمعية العامة للأمم المتحدة (1993م) بتعريفه "أى فعل يتسم بالعنفViolence يقوم على أساس النوع Gender يؤدى إلى أذى بدنى أو جنسى أو نفسى، أو إلى معاناة النساء، بما فى ذلك التهديد بمثل هذه الأفعال، والإجبار، أو الحرمان القسرى من الحرية، سواء حدث على المستوى الاجتماعى أو فى الحياة الخاصة وهو يشمل الضرب وسوء المعاملة الجنسية للطفلة الأنثى، أو العنف المتعلق بالمهور، والإغتصاب الزوجى، وختان الإناث وسائر الممارسات التقليدية الأخرى المسببة لأذى النساء. و"منذ صدور القرار الدولي الأول لمكافحة العنف ضد المرأة عام 1990 من المجلس الاقتصادي الاجتماعي في هيئة الأمم المتحدة وتخصيص فترة زمنية من كل عام بين 11/25 إلى 12/10 تنظم فيها حملات عالمية لمكافحة العنف ضد المرأة، مروراً بالإعلان من أجل القضاء على العنف الموجه إليها عام 1993"[34].

وبناء على التقرير الوطني حول انتشار العنف ضد النساء في الجزائر، تم التعرف على حجم الظاهرة من خلال عمل ميداني، لخصت نتائجه المقدمة صورة واضحة عن الأدوات الغنية التي اختص بها التحقيق،"ذلك أنها اشتملت على عينة من 2000 امرأة مبحوثة من 2000عائلة يتراوح سنهن بين 19 إلى 64 سنة"[35]. وفي احصائيات وطنية سمح تحقيق كشفت فيه"دراسة أجرتها الشبكة الجزائرية لمراكز الاستماع للنساء ضحايا العنف أن: نتائج سنة2008 ، 91% من الرجال هم سبب العنف ضد المرأة، و68% من النساء ضحايا العنف تتراوح أعمارهن ما بين 25 و44 سنة منهن: و60% منهن متزوجات، 12% مطلقات، 23%عازبات وعاطلات عن العمل. عدد النساء ضحايا العنف خلال السنوات الماضية: سنة 2004 سنة 2005 سنة 2006

سنة 2007 5848، 7400، 3865، 20 ألف حالة"[36]. وسنحاول أن نوضح أوجه هذا العنف، كما يلي:

2-1-1.العنف الرجولي:

إن الحديث عن العنف الرجالي ضد النساء يتبادر إلى الذهن من ثقافتنا الشعبية *الصورة النمطية للرجل* العنيف أمام امرأة معنفة(ضعيفة، مستصغرة)، هي صورة قد تجعل الرجل العنيف سكيراً أو منحرفاً، أو نقول عنه أنه رجل غير متوازن نفسياً، مهمشاً (اجتماعياً) أو فقيراً، وترى في المرأة المعنفة امرأة مازوخية، عديمة الإحساس الإرادة ومتعطشة للجنس والألم، وأمية.

لكن الرجل العنيف- في نظرنا- لن يكون إنساناً متزن العقل متصرفاً على طبيعته إذا كان ذلك من باب العادي. ويتصل هذا العنف بالثقافة الأبوية القائمة على سيطرة الذكور على الإناث، وأفضليتهم المتعلقة بالجانب البيولوجي والمرفولوجي والرمزي، ويخلط ممارسيه بين العنف والتأديب، وهذا -في رأينا- مختلف باختلاف المعتقدات والإيديولوجيات في التأرجح بين العنف والأخلاق، لكن تبقى المرأة تتحمل وزر سلوكها ويتم تبرير العنف المطبق عليها بالسكوت، كونه حق شرعي لا يحتاج للتبرير، وأمراً مقبولاً من النساء ذاتهن.

إن استخدام شكل هذا العنف في الحياة اليومية في المجتمعات القبلية والتقليدية"يعتبر رجولة وحماية ذاتية لا تثق ولا تأخذ بالحماية الرسمية الحكومية، إذ إن الحق الخاص في مرئياتها يجب أن يؤخذ من قبل الفرد نفسه مع مساعدة أقاربه له في هذا التصرف، وإذا لم يقم بذلك فيعد جباناً فاقدٌ للرجولة، وإزاء ذلك لا يُنظر إليه نظرة محترمة من عين أقاربه وجماعته القرابية، ومن هنا يمسي العنف مشروعاً ومقبولاً ثقافياً، لأنه يمثل الشجاعة والفتوة والجسارة، ويعتبر المعنف جباناً أو مخنثاً غير قادر على الدفاع على نفسه، اي أن الدفاع عن النفس من قبل الفرد ذاته يعد عملاً مشروعاً من وجهة نظر ثقافته"[37].

2-1-2.العنف الرجولي وامتداده على جسد المرأة:

تخصص التصورات الاجتماعية لجسد المرأة وضعاً محدداً في الرمزية العامة للمجتمع، فهي تُسمى الأجزاء المختلفة التي تؤلفه والوظائف التي يقوم بها، حسب طبيعة ما يقدمه من قيّم جمالية، فإذا كان منتجاً كما توضح علاقاتها، وتنفذ إلى الداخل عبر المرئي للجسد لتودع فيه صوراً دقيقة، وتحدد موقعه وسط الكون أو بيئة الجماعة"إن هذه المعرفة المطبقة على الجسد هي على الفور معرفة ثقافية، فحتى لو امتلكها الشخص ثانية بناء على نمط بدائي، فإنها تسمح له بإعطاء معنى لعمق لحمه،

ولمعرفة مما صُنع، وبربط أمراضه وأوجاعه بأسباب دقيقة مع رؤية مجتمعه للعالم، كما تسمح أخيراً لمعرفة موقعه تجاه الطبيعة والناس والآخرين، عبر نظام قيم"[38].

إن جسد المرأة المرتبطة برجل عنيف، كائن مملوك، لا يملك حرية التصرف، مملوك لشخص آخر، تتحكم فيه ايديولوجية الرجال، ونتيجة لعيونهم ونظراتهم، لشهوتهم ورغبتهم، وبهذا هو عرضة لأحكامهم الجائرة، ومحلاً لعنفهم، ومطاراً لنُطفهم، ومصنعاً لنسلهم، لكن إذا لم تتوفر فيه العناصر المستحسنة بات عقيماً، بائراً، ويابساً. إذ يشبه جسدها العقيم، بالأرض البور التي لا تدر الغلة، كدلالة واضحة في حاجة القبيلة للذرية خاصة من الذكور، لأنهم سيصبحون فيما بعد كلمتها ويدها التي تذود عنها وتدافع في المحن والأزمات، أما الذرية النساء فهي التي تنتج هؤلاء الذكور، أي أنهن بمثابة أدوات إنتاج ويساهمن في هذه العملية. "إن الجسد الأنثوي الذي ***يعطي الحياة*** كان **مصدر خوف**، وفي نفس الوقت مصدر احترام ولما يحيد بهذا الجسد من أسرار ووظائف يعجز الرجل عن أدائها إذا حرمته الطبيعة من شروطها. لكن احترام الجسد الأم يكشف عن وجه آخر مناقض يعكس اضطهاد النساء يتعلق بوضعية المرأة العاقر"[39]، ونكتشف أن هذا الشكل من العنف تغذية ايديولوجية المجتمع، تعتبر المرأة مجالاً للتحقيق الرجولي(جنس/انتاج نسل).

يتشكل هذا العنف الموصوف بالعادي والمعروف والروتيني، من"مجموعة من الأفعال الفردية، إلا أنه يكتشف آخر الأمر عن أنماط سلوكية منسقة، إن النساء هن اللواتي يتعرضن لهذا النوع من العنف بصورة روتينية، وهن اللواتي يلحق بهن الأذى بصور مختلفة ولكنها نمطية. وتبدي الدولة قدرا كبيرا من التساهل تجاه العنف عندما ترفض التدخل إلا في الحالات الاستثنائية"[40]، ولعل العبارة التي نوردها بجدية "***كون هذا العنف هو نتاج منطقي لمشاعر الرجل، فالرجل الذي يَضْرِبُ زوجته، لأن الغذاء لم يُقدم في موعده، أو في الوقت المحدد، ليس فقط، لأنه يتأكد من خلال فعله هذا أنها لن تتخلف عن تقديمه في المرة المقبلة، بل أيضاً هو شعور بأحقيته في الخدمة والتقدير اللذان يجب أن يوضع له اعتبار"***، لأنه الرجل.

2-1-3.العنف ضد المرأة كفعل فردي:

تنجم الأفعال الفردية للعنف حسب مشيل كوفمان(*M, Kaufman*) عن الأفراد، في إطار ما يسميه "ثالوث العنف الرجولي، فعنف الرجال ضد النساء ليس ظاهرة معزولة، بل يجب ربطها بعنف الرجال تجاه رجال آخرين، وأيضا استدخال للعنف بطريقة أخرى، إنه عنف ينعكس على الرجال ذاتهم"[41]، وهو حسب جون بول بورديو"محمول على أنه ضلالٌ مطلق في الطبيعة الإنسانية، حيث أنه يشكل بصورة مفاجئة فساداً، والناتج يتم معالجته، إنه محمول على أنه شرٌ مطلق"[42]. منذ المراحل الأولى في تشكيل هوية الطفل، وداخل مجتمع الرجال، في مرحلة المراهقة، ويرجعه بعض الباحثين إلى الكبت والقمع.

س/ كم من الرجال الذين يقولون أنهم لم يحدثوا أضراراً للمرأة التي قاموا بضربها أو شتمها أو تحقيرها؟ بطبيعة الحال هم كثيرون، كما أنهم يبحثون عن ألف عذر، و"**رُبَّ عُذرٍ أقبَحُ مِن ذنبٍ**"، لأن الجزء الهام من المشكلة، يغفلون عن فهمه، أنهم لا يشعرون إطلاقاً بالضرر والألم الذي سببوه للمرأة، بتجاهلها ككائن إنساني.

قد تكون طبيعة العنف الفردي مرتبطة بنفسية المُعنف(**ويأخذ شكلاً تبريرياً لأفعالهم**)، وينجم عادةً عن ضغوط خارجية يكون واقعاً تحت تأثيرها، متعلقة بالعمل، أو صراع مع شخص ما فيصب غضبه فيمن هم أقرب إليه وأضعف قوةً وغالباً تكون الأمهات والزوجات معرضات له، وتأتي الأخوات في المرتبة الثانية ثم العشيقات اللواتي يعتبرن إماءاً لديهم.

2-2.طبيعة العنف ضد المرأة:

تؤكد"تقارير مصالح الأمن المختلفة والمراكز المتخصصة في استقبال النساء اللائي تعرضن للعنف نجد المعطيات وفق الترتيب الآتي: في المرتبة الأولى الاعتداءات الجسدية، الأمر الذي جعلنا نطرح السؤال التالي حول طبيعة العنف الذي يتم ملاحظته في الفضاء الجتماعي.

س/ما طبيعة العنف الممارس ضد المرأة ؟

- التحرش الجنسي، حيث تظهر العلاقات مفروضة بالقوة.
- الاعتداء والتحرش الجنسي حيث يمس أكثر المراهقات أقل من 18سنة.
- التعدي على الأصول(خاصة الأمهات).
- القتل العمد.
- سوء المعاملة.
- زنى المحارم.
- العنف الاقتصادي والاجتماعي: الاستحواذ على أملاك النساء.
- الطرد من المنزل.
- الحرمان من التعليم.
- المنع من اختيار الزوج أو رفض الزوج المقترح.
- العنف الفكري.

إن طبيعة العنف داخل المجتمع الجزائري أخذت أشكالاً قصوى "تمثلت خاصة في بروز ظاهرة الإرهاب والتطرف، وهذه الظاهرة أثرت بدورها من حيث إحداثها هزة داخل المجتمع في بروز بعض المظاهر العنيفة على المستوى الجزئي ومتمثلة في السرقة والانتحار أو محاولة الانتحار، الضرب والشتم، تناول المخدرات والكحول والسجائر"[43]، هذه السلوكات امتدت إلى فضاء لداخل الأسرة، وضد الركائز الأولى لإنشائها وهن النساء. في"كل الممارسات الفعلية والخطابية وكل القيم والصور والرموز التي تفضي إلى العنف ضد النساء، أو تشجع عليه أو تقضي إلى استبطان

العنف والدفاع عنه من قبل النساء أنفسهن، أو تفضي إلى تشجيع ضحاياه على الصمت عنه وعدم اللجوء إلى سلطة القانون لغرض العقاب على المعتدي"[44].

2-3. أنواع العنف:

2-3-1.العنف اللفظي:

يقول جون ميلر"إذا ما أردنا تحديد العنف في كلمة واحدة، أعتقد أنه يتعين تحديديها في ما يلي: اغتصاب الآخر، اغتصاب شخصيته، وهويته، ولتحقيق ذلك ليس من الضروري استخدام سلاح ناري وتوجيه اللطمات، فالكلام وحده يمكن أن يهين الآخر ويعمل بالتالي على اغتصاب شخصيته، اعتقد أن هذا العنف يتناقض مع التوجه الروحي، إنه تناقض جوهري بالنسبة للتطلعات الأكثر عمقاً التي يصبو إليها أي إنسان"[45]، هو"عنف يهدف إلى التعدي على حقوق الآخرين بإيذائهم عن طريق الكلام أو الألفاظ الغليظة النابية، وعادة ما يسبق العنف اللفظي العنف البدني أو الجسدي" [46]، وقد يعتقد البعض أن"التهديدات اللفظية غير عنيفية، لكنها عدوانية بوصفها محاولات لتدمير سمعة الفرد أو تقويض علاقات الأفراد مع غيرهم من بني البشر، فالعنف المرتكب بحق النساء والأطفال، يتضمن الإساءة اللفظية والجسدية" [47]، لكن واقع تفشي هذا النوع من العنف بات خطيراً، خاصة إذا تم استعماله في الكلام العادي في البيوت وأمام الأطفال، وهو المر الذي تقفنا عنده في الشرق الجزائري، عنابة، تبسة، قسنطينة، وغيرها.

2-3-2 العنف الجنسي:

يعني التحرّش بالمرأة مواقعتها دون رضاها، إما بناءاً لغياب رغبة لديها أو باستعمال القوة(الاغتصاب). ويكمن أيضاً في إرغام المرأة على العمل الجنسي، أو المتاجرة بجسدها، وفي الكسب من خلال استغلاله. من نتائج هذا العنف الحمل غير المرغوب فيه والإصابة بأمراض قابلة للانتقال جنسياً، بالإضافة إلى آثار نفسية وخيمة في حالات الاغتصاب وأما الافتضاض القسري للمرأة، يمكن أن تؤدي بها للانتحار أو إلى إجهاض الجنين، المؤدي غالبا للموت.

يُعرف بين الأزواج، بلجوء الزوج إلى استخدام قوته وسلطته لممارسة الجنس مع زوجته دون مراعاة لوضعها الصحي أو النفسي أو رغباتها الجنسية. وعنف الزوج الجنسى ضد زوجته أشبه بالإغتصاب *Rape* الذى يعني إجبار المرأة على ممارسة الجنس من غير رغبتها، ويحدث في حالات ما أثناء ليلة الدخلة(*nuit de noce*)، حيث يجدر للزوج إثبات رجولته في تلك الليلة بفض غشاء بكارتها وتقديم البرهان والدليل، على ثنائية عفة/رجولة، كما تتضمن أشكال أخرى من العنف الجنسى مثل:

سوء معاملة الزوجة جنسياً، استخدام الطرائق والأساليب المنحرفة الخارجة على قواعد الخلق والدين فى عملية الجنس، وذم أسلوبها الجنسى لإذلالها وتحقير شأنها.

2-3-3. العنف الجسدي والمادي:

يعتبر أكثر"أنواع العنف الأسرى وضوحاً ويشمل الضرب والقذف بالأشياء على الزوجة والركل والتهديد بسلاح والحرق والخنق"[48]، و"تتمثل مظاهر العنف الجسدى والإساءة البدنية للمرأة في عدة صور مثل (الكدمات – الحروق – الجروح – كسر العظام – الإجهاض)"[49]. كما يبدو في حرمان المرأة من النفقة لسد الحاجات الضرورية (مثل: أكل، لباس، سكن، تطبيب...)، أو في الاستيلاء على مالها، وفي التمييز في التوظيف أو في الترقية من طرف رب العمل على الأساس الجنسي. إنه عنف يقوم على عدم الاعتراف بنشاط المرأة داخل البيت أو بالتنقيص من مهاراتها المهنية بسبب جنسها، وهو ما يقود إلى حدوث تفاوت في الاغتناء بين الجنسين، بل يؤدي إلى إفقار النساء وإلى تشريدهن في الكثير من الحالات.

2-3-4. العنف الثـقافي:

إن له أوجه متعددة، تكمن في نقص الاحتفالية الخاصة بازدياد الفتاة وبتفضيل الولد الذكر في الثقافة الشعبية، وفي عدم تعليم الفتاة أو إيقافها عن التعليم في أحد المراحل الدراسية، ثم تزويجها زواجاً مبكراً أو قسرياً، أو طردها أو قتلها عند فقدان البكارة قبل الزواج بدعوى غسل الشرف من العار. ويتم العنف الثقافي حسب رجاء بن سلامة"باسم مبدأ رمزي، والذي تروج له ثقافة العنف هو الذي نجد له صدى في المادة الربعة من الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة- وهي تنص على ما يلي: على الدول إدانة العنف ضد المرأة ولا يجوز الاستشهاد بأي عادات أو تقاليد دينية لتجنب التزاماتها فيما يتعلق بالقضاء على هذا العنف. وعلى الدول إتباع سياسة القضاء على العنف ضد المرأة مستعملة بذلك كل الطرق والوسائل المناسبة وبدون أي تأخير"[50].

خلاصة:

إن الرجولة، بناء ثقافي واجتماعي، يتكرّس من خلال استبعاد النساء عن سياسة شؤون الأسرة وعن مجالس الرجال أو أماكن تواجدهم، وأحقية ممارسة العنف ضدهن في أثناء التنشئة الاجتماعية على مستوى الأسرة، ومن خلال حجبهن وعزلهن داخل الفضاء البيتي لحمايتهن، بالاعتماد على نظام السلطة الذي يقوم الرجال بتمريرها عن طريق التحكم في الوسائل الإنتاج المادية والفكرية، كما تعمل المرأة على إعادة إنتاجها وتأكيدها ميدانياً، بفضل التربية والتعليم والتنميط الجنسي باعتبارها أمراً طبيعياً. لذا

يجب إذًا إزاحة ستار الفهم الشائع وتخليص الموضوع من اليقين الاجتماعي والأفكار المسبقة وإعادة بنائه باستمرار وذلك بإلقاء الضوء على المسبقّات التي يعاد خلقها من طرف الخطاب العلمي ذاته.

إن العنف ظاهرة صعبة التناول والدراسة، ولا يكفي عرضها بشكل سطحي، دون تناولها في شموليتها، وعموميتها، لأنها تفرز أنواعاً أخرى من العنف، وها هنا تناولنا "العنف ضد النساء" وعلاقته بالرجولة معتقدين أن في تلازمهما تنشأ هوية الذكور القائمة على التفوق والسلطة والعنف تجاه النساء، من خلال عينة محددة، ورغم صعوبتها وتشعبها، ومرارة مواقفها، حاولنا أن نتجرد من عواطفنا لننقل بصدق خطورة الموقف، لأننا فعلاً أمام مجتمع في طور التغّيير، تماماً كما حدث في بداية التسعينيات.

يسكن العنف بداخلنا، ولا مجال لفهمه ودراسته بمنأى عن عوامل أخرى، كما هي نظرتنا إلى النساء التي يمكن أن نجملها في ثلاث نقاط -نراها- أساسية أولها، تتعلق بجسد المرأة التي تعمل على إعادة الانتاج البيولوجي وضمان بقاء النوع، ما يجعلها أقرب إلى الطبيعة، في حين يترك المجال للرجل وبحكم تكوينه المرفولوجي المختلف، حرية معالجة القضايا الثقافية، والثانية تتمثل في أدوارها التقليدية التي يفرضها الجسد، حيث تشكل لديها تركيبة ذهنية ونفسية يوافق طبيعتها البيولوجية، والثالثة هي أن جسدها ووظائفه يضعانها في مرتبة ثانية أو أدنى من حيث العملية الثقافية على غرار الرجل.

الهوامش:

[1]- أنظر: مقال الانترنت العنف ضد النساء: الجزائر تدق جدار الصمت على الرابط:
***G**/Mokrane Ait Ouarabi, el watan,mardi 23/12/2008,La violence contre les femmes reste impunieL'inégalité « appuyée » par la loi,*
http://www.elwatan.com/La-violence-contre-les-femmes

[2]- *Helena HIRATA, François ABONIE et d'autres. Dictionnaire du féminité. Paris : PUF, 1Ed, 2000, P 71.*

[3]-*Fatima Zohra, NADJAI. Étude Sociolinguistique de la perception des insultes en Algérie, Annales patrimoine, MOSTAGANEM,(ALGER), N 6, 2006, p29.*

[4] -*(Voir) le site Internet : http://fr.wikipedia.org/wiki/Virilit%C3%A9*

[5]- بيار بورديو. الهيمنة الذكورية،(تر: سليمان قعفراني، مرا: ماهر تريمش). بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009، ص30.

[6]- بيار بورديو. الهيمنة الذكورية. المرجع السابق ، ص33.

[7]-*Fathi BENSLAMA, Nadia TAZI, La virilité en islam. Ed de l'Aube, 1998 , pp46-47.*

[8]-حوار مع الفيلسوفة المغربية ناديا تازي حوارات ومقالات على الرابط الإلكتروني:
http://matarmatar.net/vb/t13663

[9]- هديل رزق القزاز. رجولة في أزمة ما وراء ثنائية الرجولة والأنوثة في المجتمع الفلسطيني. مجلة التسامح، فلسطين: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، العدد 23، 2008، ص142.

[10]- علي زيعور. قطاع البطولة والنرجسية في الذات العربية، المستعلي والأكبري في التراث والتحليل النفسي. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1982، ص33.
[11]- رافائيل باتاي. العقل العربي(تر: على الحارس). شبكة عراق المستقبل، حلقة 23، ص01
[12]- Lahouari ADDI. Les mutations de la société algérienne famille et lien socia, Op cit, p 14
13- بوتفنوشت. العائلة التطور والخصائص،(تر: أحمد دمري). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص 53.
[14]-علي زيعور. قطاع البطولة والنرجسية في الذات العربية، مرجع سابق، ص31.
[15]- المرجع نفسه، ص31.
[16]-حنة أرندت. في العنف،(تر: ابراهيم العريس). لبنان: دار الساقي، ط1، 1992، ص40.
[17]- صوفية السحيري بن حتيرة. الجسد والمجتمع. دراسة أنثروبولوجية العض الاعتقادات حول الجسد. لبنان: الانتشار العربي، ط2، 2008، ط2، ص204.
[18]-Martane FOURNIER, La construction masculin in hommes/femmes, sciences humaines, N146, p32.
[19]-Daniel, WELZER LANG, Les hommes et le masculin .op Cit, p15.
[20]-Evelyne SULLEROT. Le fait féminin. Paris : P.U.F, 1978, pp86-87.
21-Robert STOLLER. Masculin ou féminin. Paris : P.U.F, 1989, pp310-311.
[22]-Héléna HIRATA, François Aboie et d'autres. Dictionnaire du féminité. Paris : PUF, 1Ed, 2000 , p 72.
[23]- عزة سليمان. مديرة مركز قضايا المرأة المصرية في حوار حول **مفهوم الرجولة في عالمنا العربي** تقديم: لونه الشبل، الجزيرة نت، تاريخ الحلقة 2005/02/07، موجود على الرابط الإلكتروني: http://www.nesasy.org/content/view/394/98/
[24]- مي غصوب، ايما سنكليرويب. الرجولة المتخيلة، مرجع سابق، ص129.
[25]- المرجع نفسه، ص129.
[26]- أنتوني جيدنز. علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 202.
[27]- Michael KIMMEL. L'Egalite de genre : pas seulement pour les femmes. Les hommes et l'égalité. Belgique : Institut pour l'égalité des femmes et des hommes. 2007, p 11
[28]-عزة شرارة بيضون. الشباب الجامعي في لبنان، الهويات والاتجاهات الجندرية(الثوابت والتحولات). مجموعة من المؤلفين، الشباب العربي ورؤى التغيير. لبنان: مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، 2001، ص145.
[29]- رجاء بن سلامة. بنيان الفحولة أبحاث في المذكر والمؤنث. مرجع سابق، ص105.
[30]- فهيمة شرف الدين. أصل واحد وصور كثيرة ثقافة العنف ضد المرأة في لبنان(دراسة). بيروت: دار الفارابي، ط1، 2002، ص 15.
[31]- المرجع نفسه ، ص 42.
[32]-Daniel, WELZER-LANG. Les rapports et sexualité et affectifs des jeunes dans les quartiers de politique de ville, France : délégation interministérielle, séminaire de 27 février 2003, p33.
[33]-Daniel, WELZER-LANG. Les hommes et le masculin. Paris : Payot & Rivages,2000, p225.
[34]- كاظم الشبيب. العنف الأسري قراءة في الظاهرة من أجل مجتمع السلم، مرجع سابق، ص35.
[35]- استراتيجية محاربة العنف تجاه النساء، مرجع سابق، ص 59.
36- خالد عبد السلام. **دراسات تكشف واقع العنف ضد المرأة بالجزائر(أنظر الرابط) .***http://www.setif.net/20/article/1218*
[37]- معن خليل معن. علم اجتماع العنف. عمان: دار الشروق، 2010، ص24
[38]- دافيد لوبرتون. أنثروبولوجيا الجسد والحداثة. (تر: محمد عرب صاصيلا). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1997، ص 11.

[39]- صوفية السحيري بن حتيرة. مرجع سابق، ص 265.

40- أنتوني غدنز. علم الاجتماع، مرجع سابق، ص199

[41]-Michael Kaufman, les sept « p » de la violence masculine in les homme et égalité les homme et les changements, institut pour l'égalité des femmes et des hommes, 2007, p 85.

[42]- Jean Paul Bordeur. Violence et Société ; collection, les Classiques des sciences sociales développées en collaboration avec bibliothèque Paul Emile boulet, p 21.

[43]- فوزي محمد بن دريدي. العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم، 2007، ص12.

[44]- رجاء بن سلامة. بنيان الفحولة، أبحاث في المذكر والمؤنث، مرجع سابق، ص101.

[43]- إستراتيجية الوطنية لمحاربة العنف ضد النساء، مرجع سابق، ص57

[44]-soumia SALHI. Un jour, le silence a éclaté ! En lutte contre le harcèlement sexuel !Commission nationale des femmes travailleuses de l'UGTA. Alger: impression PSA, p52.

[45]- جون ماري ميلر. العنف والمقدس أنظر: المقدس، دفاتر فلسفية ونصوص مختار17، إعداد وترجمة محمد الهلالي وعزيز لزرق، المملكة المغربية: دار يوبقال للنشر، ط1، 2009، ص34.

[46]- الطاهر حسين محمد. الأساليب التربوية الحديثة في التعامل مع ظاهرة العنف الطلابي. الكويت: إدارة التدريب، 1997، ص02.

[47]- باربارا ويتمر، العنف والعدوان، أنظر: المقدس، دفاتر فلسفية ونصوص مختارة 17، مرجع سابق، ص34.

[48]-أمل سالم العواد. العنف ضد الزوجة في المجتمع الأردنى. الأردن: مكتب الفجر، 2002، ص31.

[49]-هبة على حسن. الإساءة إلى المرأة، القاهرة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2003، ص184.

[50]- رجاء بن سلامة. بنيان الفحولة. مرجع سابق، ص103.